الألفاظ الحضارية عند الأعشى

ميلاد خلف معيدي

bstbvdg@gmail.com

وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية

الملخص

الحمد لله سابغ النعم، هادي الأمم، الذي علم بالقلم، وأزكى الصلاة وأتم السلام على خير الأنام خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الكرام.

لما كان العصر الجاهلي يعني تلك الحقبة البعيدة الغائرة في ذاكرة الزمان، التي تفصلنا عنها أجيال متعاقبة تكاد تنقطع الصلة بين عصرهم وعصرنا الحاضر، لقدمها الضارب في العمق، فقد أرتأيت أن أبحث وأسلط الضوء حول العنوانات التي يحقق أختيارها ودراستها عنصر الربط والتواصل بين الماضي بأصالته وعراقته، والحاضر بحداثته وحضارته، وكانت نتيجة البحث هو عنوان ومحتوى هذه الدراسة التي تهدف الى الكشف عن الألفاظ الحضارية الواردة في ذلك العصر ومواكبتها لعصرنا، بواسطة شعر الأعشى الذي يمثل إنموذج الشاعر الحضاري المتمدن في تلك الحقبة، وهذا بحد ذاته كان المسوغ الأكثر أهمية في اختيارنا لشعره إنموذجاً، يحقق الغاية المتوخاة في الدراسة، وبالفعل فقد كان ديوانه سجلاً ينبض بحضارة عصره وثقافته المتنوعة، ومما تجدر الإشارة إليه، إن المعيار الذي استندت إليه الدراسة في تحديد الألفاظ والبحث فيها، هو مواكبتها لوقتنا الحاضر، من حيث ديمومة الأستعمال وعدم الاندثار، والمحافظة على ذات الدلالة اللغوية لها في كلا العصرين.

وتقع الدراسة في ثلاث مباحث يتصدرها تمهيد تناولنا فيه المكانة الأدبية للشاعر وروافد ثقافته، أما المبحث الأول فتناول الألفاظ الحضارية في البناء والعمران، ودرس المبحث الثاني الألفاظ الحضارية في الطبيعة، فضلاً عن المبحث الثالث الذي اختص بالألفاظ الحضارية المتنوعة.

الكلمات المفتاحية : الألفاظ، الحضارية، الأعشى.

Civilized Words at Al-Asha

Milad Khalaf Muaidi

Ministry of Education/Directorate General of Rusafa II Education

Abstract

Thank god I will grant blessings, the guide of the nations, who learned by pen, and the most sincere prayer and completed peace on the good sleep of the ring of prophets and messengers Muhammad ibn Abdullah and on his God and his esteemed companions.

Since the pre-Islamic era meant that distant era deep in the memory of time, from which we are separated by successive generations, the link between their era and our present is almost severed, because of its striking depth, I decided to research and shed light on the titles that the element of linking and communication between the past with its originality and its antiquity, and the present with its modernity and civilization, and the result of the research was the title and content of this study, which aims to reveal the civilized words contained in that era and keep up with our era, through the poetry of the model of the poet represents the civilized civilization of that era, and this in itself was the most important justification in our choice of his poetry as a model, achieving the intended goal It should be noted that the criterion on which the study was based in identifying and researching words is keeping pace with the present time, in terms of the permanence of Use and non-extinction, and preserving the same linguistic significance in both eras.

The study is divided into three sections, headed by a preface in which we dealt with the literary status of the poet and the tributaries of his culture, the first section dealt with civilized words in construction and urbanism, the second section studied civilized words in nature, as well as the third section, which specialized in various civilized words.

Keywords: words, civilization, dinner.

المكانة الأدبية للأعشى :نقف في سطور بحثنا، إزاء قامة، وفحل من فحول الشعر الجاهلي، تشرئب لها الأعناق، ويشار إليها بالبنان، شاعراً أشاد القدماء بنبوغه الشعري، وقدمه النقاد على

معاصريه، لما تميز به من رفيع المنزلة، وعذوبة القريحة، وسلاسة اللفظ، وصفاء الذائقة، مما جعله متفرداً.

وليس أدل على ذلك، من أقوال القدماء والنقاد حول شاعريته، فقد قدمه أبو عمرو بن العلاء على غيره، وأوصي بشعره فيقول : ((عليكم بشعر الأعشى، فإني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب الى الكركي)) [١].

وعده يونس النحوي أشعر الناس إذا طرب[٢] وفضله أبو عبيدة على غيره من الشعراء، محتجاً ((بكثرة طواله الجياد، وتصرفه في المديح والهجاء، وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره)) [٣].

أما يحيى بن جون العبدي، فوصفه بأنه أستاذ الشعراء في الجاهلية[٤] في حين قدمه الأخطل على نفسه في وصفه للخمر فيقول فيه : ((الأعشى أمهات الشعراء جميعاً وحق الصليب))[٥].

ولقبه أبن قتيبة وإبن رشيق القيرواني ((بـ (صناجة العرب)، لأنه أول من ذكر الصنج في شعره)) [٦]. أو ((لقوة طبعه ، وحلية شعره يخيل إليك إذا أنشدته أن آخر ينشد معك)) [٧]، ووصفه ابن سلام بأنه أول من سأل بالشعر، واستجدى بالقريض[٨].

وما هذه الأحكام مجتمعة، إلا دليل على شاعرية الأعشى المتقدمة على معاصريه، نظراً لما إنماز به شعره من سمات موضوعية وفنية، أرتقت به نحو موقع الصدارة، بجدارة قل أن يجاريه فيها نظير في الخلق الإبداعي.

الروافد الثقافية للشاعر :

١ – البيئة :

[١] الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني، تحقيق: عبد علي مهنا سمير جابر، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ١٢٩/٩ – ١٣٠.

[٢] ينظر المصدر السابق، ١٢٩/٩.

[٣] ينظر المصدر السابق، ١٢٩/٩.

[٤] ينظر المصدر السابق، ١٣١/٩.

[٥] ينظر المصدر السابق، ١٢٩/٩.

[٦] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٣، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ٣٦٤/١.

[٧] ابن رشيق، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م، ١٣١/١.

[٨] ينظر : الجمحي، محمد ابن سلام : طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٤٧.

الشاعر وبيئته متلازمة، في كل زمان ومكان، لا يمكن الفصل بينهما، بأي حال من الأحوال، عند وضع الشاعر تحت مجهر البحث والتقصي، وكيف يكون ذلك، والبيئة بالنسبة للشاعر هي البوتقة التي ينصهر فيها ، ويتفاعل عن طريقها مع المعطيات الثقافية، والاجتماعية، والسياسية المحيطة به، لتصنع وفق هذا الانصهار، وذلك التفاعل بصمتها الواضحة، وأثرها الملموس في تحديد هوية الشاعر، وتشكيل ملامح شاعريته، وذائقته الفنية، ومعجمه اللفظي، وما الشاعر إلا مرآة ناطقة، يعكس بوحها وتنبض خلجاتها، بكل ما يدور من حوله.

وفي إقليم اليمامة، وتحديداً في قرية (منفوصة)، ولد شاعرنا الأعشى، فنشأ وترعرع في أحضان بيئة، حبتها الطبيعة بحظ وافر من الخيرات، حيث الأرض الخصبة المنبسطة، والمياه الغزيرة، والنخيل الباسق[١]، بالإضافة الى ذلك، فهي تتمتع بموقع جغرافي حيوي، إنماز بقربه واتصاله بمراكز الحضارة آنذاك، إذ تطل عليه من الجنوب عمان وحضرموت، ومن الشرق البحرين والخليج، ومن الشمال الحيرة والعراق[٢]، لتشكل بذلك بقعة مهمة ومركزاً فاعلاً، يتصل بمظاهر التمدن، والتحضر الناتج من الاتصال بالآخر.

ولما كانت اليمامة، تخضع لنفوذ الفرس والمناذرة، فقد حرص ملوك الحيرة ومن ورائهم ملوك الفرس على إزدهار هذه المنطقة، وتزويدها بكل وسائل التشجيع المادي والأدبي[٣].

مما زاد صلتها بالحيرة أهم مراكز الثقافة والحضارة في ذلك الوقت، وبطبيعة الحال كان لابد من تسلل آثار الحياة المترفة الناعمة الى أهالي الحيرة، نتيجة لهذا الاتصال، فقد حرص ملوك الحيرة على منافسة أكاسرة الفرس وقياصرة الروم في مظاهر البذخ والرفاهية، فسكنوا القصور المؤثثة بأفخم الأثاث، وأقاموا الحصون المنيعة، وشقوا عباب الفرات بالسفن الفاخرة، وتمتعوا بزينة الحدائق ذات الأسوار المزهرة[٤].

ولا يفوتنا أن نذكر المكانة التاريخية الحافلة بالعراقة والأصالة لأقليم اليمامة، حيث كانت موئلاً للقبيلتين البائدتين (طسم وجديس)، وضمت آثارهما، وكان الأعشى قد أطلع على هذه الآثار وضمنها أشعاره، (كالمشقر) و(معنق) و(الصفا) وغيرها[٥]، ويشير الأعشى الى ذلك فيقول[٦] :

فإن تَمنَعَوا مِنَّا المُشَقَّرَ والصفَّا

(١) ينظر : الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، مادة يمامة، ٥/٥١٠.

(٢) ينظر : العلي، جواد : المفصل في تاريخ العرب، ط١، دار الملايين، بيروت، ١٩٧٠، ص١٠٥.

(٣) ينظر : عابدين، عبد المجيد : الامثال في الشعر العربي القديم، ط١، دار مصر للطباعة، د.ت، ص٣١.

(٤) ينظر : لوبون، جوستان : حضارة العرب، ترجمة : عادل زعيتر، ط٢.

(٥) حسين محمد، ديوان الأعشى الكبير قيس بن ميمون، المكتب الشرقي لنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، المقدمة، ص، ن.

(٦) الديوان : ٢٣/ ٢٤ – ٢٥.

فإنَّا وَجَدْنا الخَطَّ جَماً نَخِيلُها

وَإِنَّ لنا دُرْنَى فكلَّ عَشِيَّةٍ

يُحَطّ إلينا خَمْرُهَا وخَمِيلُها

كل ما تقدم ذكره من مكونات بيئة الشاعر المادية والمكانية، والمعنوية الحضارية، كان له دور لا يمكن إغفاله في تكوين شخصية الأعشى، التي أنصهرت في ملذات العيش الرغيد، وعانقت أسباب المتعة واللهو، من الخمر والنساء والغناء، فقد كانت داره بمنفوصة اليمامة مألفاً لمريدي اللذة وطلاب المتعة[١].

ولم يقف هذا التأثير البيئي، عند تشكيل الجانب السلوكي والأخلاقي، للشاعر، بل تعداه الى الطبيعة التكوينية لملكة الخلق الأدبي لديه، لاسيما خطابه الثقافي الذي تميز في مجمل نظمه معجماً شعرياً متفرداً، يلمس المتأمل فيه ما خلعته عليه الحضارة من ثياب التحضر والمدينة، التي حلق الشاعر في فضاءها مبتعداً عن بداوة الصحراء المقفرة، وخشونة اللفظة المستوعرة، ومشقة التكلف، فنراه يميل الى اللين والبساطة والسهولة في القول، مصحوباً برقة الذوق، ورشاقة التعبير، الأمر الذي جعل من هذا المستوى الفني الرفيع، معياراً اعتمده د. شوقي ضيف في تفضيله للأعشى عن سواه من شعراء الجاهلية، حين وصف مديحه بدفق شعوري، يفيض بإحساس وروح العصر العباسي، بل ويذهب الى أبعد من ذلك في تشبيهه للعباسيين في مبالغاتهم[٢].

وما كل ذلك إلا بفعل التلاقح الفكري، والثقافي والحضاري، الذي تلونت به قريحة الشاعر، فلهج بلسان حضري، أصبح بفعله النموذج المثال لشاعر الحضارة.

٢ – الرحلة :

رافقت الرحلة الشاعر الجاهلي، فكانت ملاذاً يصبو إليه، ويصوره في قصائده، سواء كانت تلك الرحلة حقيقة عاشها الشاعر، أم وهم يسعفه به خياله كلما جاشت بصدره الهموم والأحزان، ولعل الصحارى القفار لم تعرف شاعراً أرتحل في مسالكها، ومجاهلها، وقيظها، ومخاوفها أكثر مما فعل الأعشى، فقد اشتهر بكثرة رحلاته وتجواله، ((حتى أنه سئل : كم هذه النجعة والاغتراب ؟ أما ترضى بالخفض والدعة، قال : لو دامت الشمس عليكم لمللتموها)) [٣].

وقد تضمنت أشعاره العديد من الإشارات الى رحلاته الكثيرة، والى أسماء الأماكن التي بلغها شمالاً وجنوباً، مما يدل على إحاطته بأماكن كثيرة في العالم العربي، مثل العراق، والشام،

(١) ينظر الأسد، ناصر الدين : القيان والغناء في العصر الجاهلي، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٠، ص٢٢١.

(٢) ينظر : ضيف، شوقي : العصر الجاهلي، ط٨، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٤٩ – ٢٦٢.

(٣) التنوجي، محمد : الأعشى شاعر المجون والخمرة، توزيع الشركة المتحدة للتوزيع، جامعة حلب، د.ت، ص٥٥.

والبادية، ومكة والطائف، والبحرين، وعمان، ونجران، وعدن، وحضرموت، وليس أصدق من شعره في الإشارة الى ذلك، إذ يقول[١] :

وَقَدْ طُفْتُ لِلمَالِ آفَاقَهُ عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِ شَلِمْ
أَتَيْتُ النَّجَاشِ فِي أَرضِهِ وَأَرْضَ النبِيطِ وَأَرْضَ العَجَمْ
فَنَجرَانَ فَالسَّرْرَ مِنْ حِمْيَر فَأَىَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ
وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ إِلى إِلى حَضْرَمَوت فَـَأوفيتُ هَمّي وَحِيناً أَهُ

وهذا هو طبعه الذي شاب عليه وفي هذا المعنى يقول[٢] :

وَمَازِلْتُ أَبْغِى المَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ
وَلِيداً وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا

ومما لاشك فيه، أن طبيعة حياة الأعشى اللاهية، وطلبه للملذات والمتعة إينما حل، جعله دائم الرحلة لا يلبث أن يحط في بقعة حتى يرتحل إلى أخرى، قاصداً مناهل العطاء، ومواطن الكرم، في قصور الملوك والأمراء يتكسب المال بالمدح، ويستمطر نوال السادة والأشراف بقوافي الثناء والإطراء، في سبيل إيفاء متطلباته ورغباته المترفة، جاعلاً من شعره ((متجراً يتجربه نحو البلدان)) [٣].

ففي الشام مدح آل جفنة ولهم أفرد قصيدة يقول فيها[٤] :

إليكَ إبنُ جِفنةَ من شقة دَأبْتُ السَّرى وَحَسَرَتُ القلوصا

وفي العراق والحيرة مدح النعمان بن المنذر[٥] :

إلى مَلِكٍ لا يَقطَعُ اللَّيلُ هَمَّهُ خَرُوجٍ تَرُوكٍ لِلفَراشِ المُمَهَّدِ

ومدح الأسود بن المنذر[٦]، وإياس بن قبيصة[٧].

وفي اليمن مدح قيس بن معد بن يكرب قائلاً[٨] :

قَاصِدٌ وَجهُهَ تَزُوُر بَني الحَا رِثِ أَهلَ الغِنَاءِ عِنْدَ الشُّرُوُبِ

(١) الديوان : ٥٦/٤ – ٥٩.

(٢) المصدر السابق : ١٧١/١٧.

(٣) إبن رشيق، العمدة : ٨١/١.

(٤) الديوان: ٣١ – ٢٤٣.

(٥) الديوان : ٢٢٥/٢٨.

(٦) ينظر : المصدر السابق : ٦٨ – ٣٦٩.

(٧) ينظر : المصدر السابق : ١٦٢/٢١ وما بعدها، والقصيدة، ١٩٥/٢٩، والقصيدة، ٢٣٧/٣٦، والقصيدة، رقم الصفحة ٧٩.

(٨) المصدر السابق : ٣٦٩/٦٨، وينظر القصيدة : ١٥/٢ وما بعدها، و٢٧/٣ وما بعدها، و٣٥/٤ و٤٥/٥،و٣٣٢/٦٨، و٣٤١/٧١.

الرَّفِيئِينَ بِالجِوَارِ فَمَا يَغـ تَالُ جَارٌ لَهُمْ بِظَهرِ المَغِيب

وفي الحجاز مدح المحلق بن حنتم[١] وفي نجران امتدح ساداتها بني الحارث بن كعب[٢] وفي اليمامة مدح أميرها هوذة بن علي الحنفي[٣] وفي الطائف نزل بعروة بن مسعود الثقفي فأجزل له له العطاء وقابله الأعشى بالمديح جزاء إحسانه[٤].

وإلى جانب الأموال والجوائز، كسب الأعشى ما هو أهم من ذلك، إذ أتاحات له أسفاره الطويلة، فرصة التعرف على ثقافة البلدان والاطلاع على حضارات الشعوب، وبيئاتهم المختلفة، عاداتهم وطبائعهم، وأخبار أسلافهم الدينية والتاريخية والسياسية، فاستقى من علمهم، وأتعظ بمواعظ حكامهم، وأخبار سابقيهم، فمن بيئة الحجاز أخذ صفاء اللفظة، وأصالة الشعر العربي، ومن البيئة القرشية استفاد الخبرة في التجارة وسوق عكاظ، ومعرفة الأخر من أجناس القبائل، وطبقات الشعراء، وأغدقت عليه بيئة حضرموت واليمن المال والشهرة، وصفاء النفس، إما الحيرة والعراق فقد مزجت شعره بحضارة فارس وبالمناذرة والعباديين النصارى، وحاز من الشام النعيم في رياضها وغياظها وحضارتها العربية الرومية[٥].

وكان من نتيجة هذا التنوع الحضاري، إن رق ذوقه وسما فوق مستوى البداوة، فجاءت ألفاظه بسيطة، لينة خالية من التعقيد اللفظي، بعيدة عن التكلف، ومعانيه تحمل دلالات الابتكار الخلاق، وصوره لوحات فنية تحاكي الواقع ممزوجاً بجماليات خياله، وهذا ما جعل شاعريته تتميز بالشمول والإحاطة بأوصاف الجزالة[٦].

ألفاظ الحضارة في شعر الأعشى :

أتقن الأعشى توظيف ثروته اللغوية الزاخرة بروح الحاضرة الثقافية، وألق المدينة، فكون معجماً شعرياً متفرداً امتاز بتنوع الخطاب الثقافي، وثرائه وتقدمه على التقليدي المتوارث، على مستوى انتقاء الألفاظ وتضمينها، فالمتأمل في شعره، تتجلى له فيوضات الشاعر اللغوية المستمدة من رقي بيئته وجمالها، ولبيان مواطن الإبداع في هذا الجانب، يستدعي ذلك أن نكشف ما تضمنته قوافيه من ألفاظ حية، كانت بمثابة الجسر الذي ربط الماضي بالحاضر.

[١] ينظر : المصدر السابق : ٢١٧/٣٣.

[٢] ينظر : المصدر السابق : ١٧١/٣٢، / ٢٦٣/٤٢.

[٣] ينظر : المصدر السابق : القصيدة ٧، و١٢ ، و١٣.

[٤] ينظر : المصدر السابق : ٣٣١/٦٧.

[٥] ينظر : الأعشى شاعر المجون والخمر، ص٥٦ – ٥٧.

[٦] الجبوري، يحيى : الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦، ص٤٠.

١ – ألفاظه في البناء والعمران :

كما أسلفنا القول بأن الأعشى شاعر جوال، وقد نقشت أسفاره في ذاكرته أبهى معالم الحضارة وصنوف العمارة، حيث القصور الشاهقة، والحصون المنيعة، والأبراج العالية، التي يقطنها ممدوحيه، مما لفت أنظاره، وألهب قريحته الشعرية فكان ذلك الترف العمراني خير معين أغترف منه الشاعر العديد من الألفاظ الحضارية. التي لا تزال تنبض في عروقها الحياة إلى يومنا هذا.

وفي هذا الصدد نستعرض طائفة من النصوص التي تضمنت ألفاظاً حضارية نستهلها بلفظة (البلاط) ومعناها الأرض المفروشة بالحجارة والآجر، كما تأتي بمعنى الحجر الأملس الذي تفرش به الأرض، ويسوي بها الحائط[١] وكذلك لفظة (الكلس) ومعناه طلاء البناء بما يشيه الجص[٢].

يقول الأعشى[٣] :

يُوَارِي كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدُونَهُ بَلاَطٌ وَدارَاتٌ وَكِلسٌ وَخَنَدقُ

فالشاعر يقدم صورة حسية، ينقل من خلالها ما كان عليه مُلك نبي الله سليمان من ترف اقتصادي وعمراني، مكنه من بناء حصن الأبلق، الذي عانق ارتفاعه كبد السماء، وقد فرشت أرضه بالبلاط، وأحاطت به الأسوار المشيدة بالأحجار، ودار من حوله خندق عميق، وهي صورة محملة بدلالات القيمة المعمارية لذلك المعلم الأثري.

وفي مشهد آخر، يصف لنا الأعشى طيف الذكريات الذي كان يداعب مخيلته، وهو يقضي أوقات مفعمة بالمتعة مع ندماءه الكرام، فتعلوهم نشوة الخمر في خباءهم الذي أظل بابه (رواق) وهو سقف ممدود[٤] فيقول[٥] :

وَقَد أقطُعُ اليَوْمَ الطَوِيلَ بِفِتيةٍ

مَسَامِيحَ تُسْقى والخِبَاءُ مُوَرَّقُ

تتجلى في هذا البيت مدى تناغم القدرة اللغوية للشاعر، مع طاقته التصويرية فهو في آن واحد يقدم للمتلقي صورتين، أحدهما بدوية، جسدتها لفظة (خباء) فهي تسحب الذهن بشكل تلقائي الى طبيعة السكن المتعارف عليه والشائع آنذاك، في حين تأتي بعدها لفظة (المورق) بمعنى (الرواق)، والتي تشير الى دلالة معمارية حضارية، تدل على ما يتقدم البناء من السقوف.

[١] ينظر : إبن منظور : جمال الدين بن محمد : لسان العرب – دار صادر – بيروت، ٤٨٤/١.

[٢] ينظر : المصدر السابق، ١٤٠/١٢.

[٣] الديوان : ٢٥٧/٣٣، وينظر : القصيدة : ٢٢٥/٢٨.

الديوان : الرواق : سقف في مقدم الخباء، ص٢٥٥.) ١(

[٥] المصدر السابق : ٢٥٥/٣٣، وينظر القصيدة، ١٦٥/١٦.

ويستعين الأعشى بلفظة أخرى تشرف دلالاتها على وقتنا الحاضر، فيسخر لفظة (الشرفة) التي يشير معناها اللغوي الى ما يوضع في أعلى البناء ويطل على ما حوله[١]، للدلالة على عزة وشموخ قومه فيقول في هذا[٢] :

وَذَا شُرُفَاتٍ يُقْصِر الطَّيْرُ دُونَهُ

تَرى لِلحَمَامِ الوُرقِ فيه قرامِصَا

وهنا يتضح للمتأمل براعة الشاعر في توظيف الدلالات المادية، لتصوير الدلالات المعنوية، فهو قصد الى ذكر الشرفة التي تقع في أعلى البناء وهي مادية للدلالة على ما يبلغه قومه من الثروة والقوة والمنعة ما يجعلهم يسكنون قصور تعانق السماء بأرتفاعها الشاهق، حتى أن الطير يعجز عن بلوغها، ويعيش فيها الحمام، وهذه دلالة معنوية أصابها الشاعر بإيجار ودقة.

ويتابع الأعشى الفخر والتغني بفضائل قومه، فيصف شجاعة فرسانهم، ورباطة جأشهم، وضخامة عددهم، متكأً على لفظ يتمتع بدلالة نافذة تعينه على تحقيق ما يصبو إليه من معنى، فيأتي بلفظ (الإوان) والمراد منه البيت المرتفع البناء غير مسدود الوجه[٣]، فيقول[٤] :

وَيَحمي الحَيَّ أَرْعَنْ ذُو دُرُوع

مِنَ السُلاَّفِ تَحسَبُهُ إِوَانَا

فجيش قوم الشاعر الذي يوكل إليه مهمة حماية قومه، جيش قوي ضخم، يتمتع بالكثرة وهو يموج ويضطرب لفرط ما حوى من الدروع والرجال، ويستقر في مقدمة الحي، كأنه بيت علا بناءه ولا يحده حد من مقدمته، وهي صورة مادية ومعنوية في الوقت ذاته.

ومن الألفاظ الدالة على المدنية والتحضر لفظة (الفناء) وتعني الساحة في الدار أو بجانبها[٥] وقد استخدمها الأعشى في معرض مديحه لسلامة ذا فائش الحميري قائلا[٦] :

كَثِيرُ النَّوَافِلِ تَبرِى لَهُ مَرَازِئُ لَيْسَ بِعَدَّادِهَا

وَمَنْزُوعَةٍ مِنْ فِنَاءِ امرئ لِمَبركِ آخَرَ مُزَدادِهَا

وننتقل مع الأعشى في سياحته المعمارية، فنقف عند تصويره لقصة سد مأرب الذي بنته حمير مشيراً الى استعمال مادة (الرخام) في بناءه وهو حجر أبيض سهل[٧]، يستعمل في صنع

(١) الفراهيدي : الخليل بن أحمد : العين، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٣.

(٢) الديوان : ٣٢٥/٢.

(٣) الديوان : ص٢٢٣.

(٤) المصدر السابق : ٢٢٣/٢٧.

(٥) العين : ٣٤٢/٣.

(٦) الديوان : ١١١/٨، وينظر القصيدة : ١٢٧/١١.

(٧) لسان العرب : ١٨٠/٥.

الأعمدة والتماثيل وهو لا يزال يستعمل لنفس الغرض وبالاسم ذاته في وقتنا الحاضر فيقول في ذلك[١] :

فَفِي ذَاكَ للمُؤنسي أُسُوةٌ وَمَأْرِبُ قَفَّى عَلَيهَا العَرِمْ

رُخَامٌ بَنَتَهُ لَهُمْ حِميَرٌ إِذَا جَاءَهُ ماؤهُمْ لَمْ يَرِمْ

يوضح الشاعر في هذا البيت ما آل إليه سد مأرب، الذي بناه أهله لحفظ الماء أو سقاية الزرع، وقد تحققت لهم غايتهم من إقامة هذا السد، فعاشوا بغبطة وسعادة حتى داهمهم السيل الجارف الذي ذهب بنعيمهم ومزق شملهم، وحل سراب الصحراء محل وفرة الماء.

ومن الاحجار التي يواكب استخدامها اللفظي حضارتنا (المرمر) وهو حجر يستعمل في البناء للزينة، وفي صنع التماثيل ونحوها[٢]، وقد أفاد ألأعشى من الصفات الجمالية لهذا الحجر في وصف محبوبته (قتيلة) إذ يقول[٣] :

وَقَد أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابَها في الحَيِّ ذِي البَهْجَةِ وَالسَّامِرِ

كَدُمَيةٍ صُوِّرَ مِحرَابُهَا بَمَذهَبٍ في مَرمَرٍ مَائِرِ

يعقد الشاعر علاقة المشابهة بين معشوقته، وحجر المرمر، فيشبه جمالها، بالدمية التي أقيمت في غرفة من المرمر المرصع بالذهب اللامع، وقد تموج هذا المرمر لناظره كجودة صقله، وقد أجاد الشاعر في اختزال حُسن حبيبته الآخاذ بهذه اللفظة ببساطة وسهولة.

وفي معرض الإيجاز وصواب المعنى من غير تكلف، نجد الأعشى، يوجز، سمات المجد والرفعة والشرف، من خلال اختياره للفظة مشحونة بدلالة العمران الحضاري وهي لفظة (دعامة) التي ينصرف معناها الى العماد الذي يقوم عليه الشيء، وسنده وركيزته[٤] فيصور مكانة اسلاف علقمة، وبني عامر قائلاً [٥] :

كِلاَ أَبَوَيكم كَانَ فَرعَا دِعَامةٍ

وَلَكِنَّهُم زَادُوا وَأَصبحتَ نَاقِصاً

كان هذا اللفظ كفيل بأن يصور ما كان عليه أبوي علقمة، من بني الأحوص، وبين عامر من شرف ومجد رفيع، فهما ركيزة وسيادة القوم وتشرق في شعر الأعشى، صفحة تأريخية مشرفة، تصور شجاعة فرسان بني شيبان في معركة ذي قار، فيقول[٦] :

[١] الديوان : ٧٩/٤.

[٢] ينظر : العين، ١١٨/٤.

[٣] الديوان : ١٧٥/١٨.

[٤] ينظر: العين، ٣٠/٢.

[٥] الديوان : ١٨٥/١٩.

[٦] المصدر السابق : ٢٩٧/٤٠، وينظر القصيدة : ١٠/٢، : ٣/٤٨،: ٤٢/٣٤.

فَجَادَت على الهَامَرزِ وَسْطَ بُيُوتِهم

شأبِيبُ سَوتٍ أَسلَبَت واَستهلَّتِ

وظف الشاعر لفظة البيت وكما هو معروف هي دالة على المسكن، ويمكن القول هي اللفظة الأكثر استعمالاً، في وقتنا الحاضر، للإشارة الى موضع استقرار الإنسان وعيشه، وفي استعمال الأعشى لهذه اللفظة، تقدماً زمانياً ملحوظاً، إذ أن الشائع في عصره هو الخباء، إلا أنه استعملها في هذا الموضع لتصوير هيئة فرسان بني شيبان وهم ينقضون بخيولهم على العدوان وكانهم سيل من الموت إنهمر من السماء، ليذيق العدو وبال عدوانهم وسط بيوتهم.

ويتجسد تأثر الشاعر بالهندسة العمرانية للروم فيستعير لفظة (القنطرة) الدالة على البناء المقوس الذي يبنى فوق مجرى الماء ليعبر عليه[١] فيقول[٢] :

مَرحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرُّومِ

ي تفري الهَجيَر بالإرقَال

يقدم الأعشى في هذا البيت، صورة حسية قائمة على التشبيه، فقد شبه ناقته بقنطرة من قناطر الروم، ليوحي بذلك الى وفرة نشاطها ، وصلابتها وقوتها الجسمانية، وقد تضمن ذلك إشارة الى ما عرفه الروم من فن الهندسة العمرانية في بناء الجسور آنذاك.

ويرصد الأعشى، جانباً جمالياً ألفه في قصور ممدوصيه، فاستعاره لتصوير جمال نساء الحانة إذ يقول[٣] :

كالتَمَاثِيل عَلِيها حُلل مَا يَوارِينَ بُطُون المُكتَشِح

فمن مظاهر التقدم العمرانية، التي سارت قصور الملوك والأمراء، وجود التماثيل المنحوتة، وهي شكل ولفظ حضاري، تشير دلالته المعجمية الى كل ما ينحت من حجر ومعدن لتجسيد الصور الرمزية للطبيعة والمخلوقات[٤] وقد جاءت هذه الدلالة منسجمة مع عرض الشاعر إذ استعان بها بها لتجسيد، هيئة النساء اللواتي ماجت الحانة بهن، فهن في أشكالهن ومظهرهن أشبه بالتماثيل التي أُلبست حللاً، وعريت منها البطون.

٢ – ألفاظ الحضارة في الطبيعة :

لأفعالي إذا قلنا، بإن الشعر الجاهلي هو صورة صادقة وانعكاساً واقعياً للبيئة العربية آنذاك، إذ أن الشاعر كان يصور وينقل كل ما يشاهده ويحس به من مظاهر مختلفة وبصفة عامة كانت أوصافه مأخوذة من صميم واقعه، غير أنه كان يعقد التشبيهات المفصلة، والصور المحكمة

[١] ينظر : الديوان ص ٤١.

[٢] المصدر السابق : ٤١/١.

[٣] المصدر السابق : ٢٨١/٣٦.

[٤] العين : ٢٨٩/٢.

والخيالات الفنية بغية إثارة الانفعالات الوجدانية عند المتلقي، حتى أصبحت هذه لازمة، لابد للشاعر أن يقصدها في صناعته من خلال رؤيته الخاصة في صور الطبيعة، فهو يرى في بعض الأشياء أشياء أخرى فيستعيرها لها، مما جعله يقيم علاقات التشبيه في كل شيء يقع تحت بصره صامتاً كان أو متحركاً فهو وفق إحساسه المرهف يحس أن الروح والحركة تسري في داخله، متكلفاً بذلك عناء إنتقاء الألفاظ والمعاني التي تؤدي غايته، وبطبيعة الحال كانت الحياة الجاهلية مختلفة الأنماط، فتارة بدوية متنقلة في الصحاري، وتارة أخرى حضرية فارهة تتجلى في قصور الملوك والأمراء والأشراف، يتقلب في نعيمها من حظي بودهم وقبولهم من الشعراء، الذين غلب عليهم، طابع الرقة والعذوبة واللفظ اليسير[١]، ولا شك أن الأعشى أحد رواد هذا المجال بل ومقدماً على معاصريه فهو القبلي الرحال في مجاهل الصحراء، والمنعم في الواحات الغناء والبساتين الخضراء في بلاط ممدوحيه، وقد كان لهذا التنوع المناخي البيئي جل الأثر في إحاطته بمظاهر الطبيعة المتنوعة ورصد صورها وأشكالها واستيعابها بقريحة خلاقة، تصبو إلى الابتكار والتجديد الفني، لاسيما على مستوى الصورة الشعرية، فقد جعل من مشاهد الطبيعة أدوات دقيقة استخدمها بحرفية عالية لرسم لوحاته التي انمازت بدفق شعوري، ينم عن ثقافة حضارية شمولية، وشاعرية فذة.

وأول ما يطالعنا من ألفاظ الطبيعة الحضارية الواردة في شعره، لفظ (الشط) ومعناها النهر وجانبه[٢] وقد جاء بها الشاعر في معرض هجاءه لبني سعد بن قيس، فيقول متفاخراً بقومه[٣] :

كَأَنَّ نَخِيلَ الشَّطِّ غِبَّ حَرِيقِهِ

مِأتِمُ سَودٌ سَلَّبَتْ عِندَ مَأْتَمِ

فالشاعر يعيد الى اذهان بني سعد هزيمتهم في يوم حجر ، مصوراً غلبة قومه وهجومهم ، وقد حرقوا نخيلهم الواقع على الشطأن ، فأصبح شبيهاً بحال النساء المقيمات للعزاء ، وقد توشحن بسواد الحداد ، بعدما كان يزهو بشموخه وارتفاعه، والمراد من هذا التشبيه هو تجسيد شدة الضرر الذي بحق بقوم بني سعد جراء عداءهم لقوم الأعشى ، ومن رياض الطبيعة الغناء ينتقي الشاعر لفظاً تشع من دلالالته النضارة، وهو لفظ (السهل) الذي يؤدي معناه إلى بطن الوادي[٤] فيقول[٥] :

(١) ينظر: القيسي، نوري حمودي : الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط١، دار الإرشاد للطباعة، بيروت، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، ص

(٢) العين : ٣٣٢/٢.

(٣) الديوان : ١٦٣/١٥.

(٤) ينظر : العين : ٢٨٩/٢.

(٥) الديوان : ٢٧١/٣٥.

وَشَاجَ سَابَ إِذَا هَبَطْتَ بِهِ الـ

سَّهْلَ وَفي الحَزنِ مِرجَمَا مَحَلا

يصف الشاعر حال ناقته التي امتطاها في رحلته الشاقة، قاصداً ممدوحه سلامة ذا فائش، راجياً جزيل نواله، فهي سريعة السير منسابة الحركة حين تهبط في بطون الأودية، وترجم الأرض بأخفافها الصلبة، شأنها في ذلك شأن صغار الأبل حين تصعد الوعر من الأرض.

يستعير الأعشى لفظاً يعكس المستوى المعيشي المترف، الذي كان يحظى به، وفي الوقت ذاته يشير الى ما ألفه من مشاهد طبيعية، تميزت بالحضرية.

فجاءت ألفاظه منسجمة معها، ومن بين هذه الألفاظ، لفظ (الريف) الدال على الأرض الزراعية الخصبة[١] قائلاً[٢] :

وَأَشْرَبُ بِالدِّيف حَتَّى يُقا

لَ قَدْ طَالَ بالرِّيف ما قَدْ دَجَنْ

ففي هذا البيت ينطق الشاعر بلسان واقعه، مصوراً دآبه على الترحال، الذي استقر به في بيئة بالغة خصبة، أطال مقامه فيها.

وفي محاولة منه لاستعطاف ممدوحه النعمان بن المنذر لم يجد بداً، من تصوير فيض سخاءه وغزارة عطاءه، فوجد في استخدام لفظه (الجداول) ما يعينه على الوصول إلى مسعاه، فيقول في ذلك[٣] :

وَمَا فَلَجٌ يَسْقِى جَدَاوِلَ صَعْنبَى

لَهُ شَرَعٌ سَهْلٌ على كُلِّ مَوِرِدِ

وَيُروِى النَّبِيطُ الزرقُ من حَجَراتِهِ

ديَّاراً تُروَّى بالأَنىِّ المُعَمَّدِ

فالجداول الدالة على مجموع الأنهر الصغيرة[٤] جعل منها الشاعر معياراً لكرم ممدوحه فمعينه ينبض بنحو لا نظير له، ولا يجارى، بل أن النهر الفياض الذي يمد بماءه الأنهر الصغيرة المكونة للجداول لا تصل إلى مقام بذخه لمادحه، وجاء لفظ الجداول يحمل دقة تصويرية، تبرز من خلال المعنى الذي تشير إليه، إلا وهو الإشارة الى تعدد منابع نوال الممدوح وكثرة خيراته.

(١) ؟؟؟؟؟؟؟؟

(٢) الديوان :

(٣) الديوان : ٢٢٩/٢٨.

(٤) المصدر السابق : ٢٢٩.

ويستعير الأعشى لفظاً، يعكس المستوى المعيشي المترف الذي كان يحظى به، وفي الوقت ذاته يشير الى ما تتمتع به نفسه من مشاهد طبيعية تميزت بالحضرية، فجاءت ألفاظه منسجمة معها، ومن بين هذه الألفاظ لفظ (الريف) الدال على الأرض الزراعية الخصبة[١] فيقول[٢] :

وَأَشْرَبُ بالرِّيف حَتَّى يُقا

لَ قَدْ طَالَ بالرِّيفِ ما قَدْ دَجَنْ

وكعادته ينطق الشاعر بلسان واقعه، فيصور أجواء ترحاله في تلك البقعة الخضراء التي ألهبت مشاعر المتعة فيه، برفقة الخمرة التي طالما صحبها الشاعر في سفره، حتى طال مقامه في هذا المكان الذي لحظ الناس طول مكوثه فيها، ولمجرد ذكر لفظة (الريف) في هذا السياق ينصرف ذهن المتلقي بشكل عفوي إلى تخيل جمال الموقع الذي اختزلته هذه اللفظة.

ونرصد لفظاً جغرافياً حضارياً، أشار إليه بشكل صريح، وهو لفظ ((الهضاب)) الذي يرمي معناه الى القطعة الواحدة من الجبل[٣]، قائلاً[٤] :

مِثْلَ الهِضَابِ جَزَارَةً لسُيُوفِنَا

فَإِذا تُراعُ فَإِنَّها لَنْ تُطرَدَا

في سياق تهديد وترويع الحارث بن وعلة حين أغار على بعض السواد جلجل الشاعر بصوته مفتخراً بشجاعة عشيرته، فأفرادها أعزاء أقوياء يائون الضيم، وهم مكرمون منعمون برزق الله الذي جعله في إبلهم فمنها طعامهم، وشرابهم، وواسطة نقلهم، وهي قوية ضخمة تشبه في هيكلها الهضاب الشاهقة، وهو يصبو من خلال مفردة (الهضاب) الى تصوير القوة الجسمانية التي تتمتع بها إبل قومه، ونلمس من خلال هذا التجسيد التطابق الصوري، لأشكال الطبيعة في خيال الشاعر واستدعاؤه عند الحاجة الى استخدام دلالاتها الرمزية.

ويحلق خياله جامحاً، ليصور الآفاق بلفظ يحاكي حضارتنا وينطق بمدلولاتها بشكل صريح، من خلال إيراده (الفضاء) الدال على المكان الواسع من الأرض[٥] فيقول[٦] :

فَما بَرَزَتْ لِفَضَاءِ الجَهَادْ فَتتْرُكَهُ بَعدَ إِشْرادِها

فَجْالَتْ وَجَالَ لَهَا أَرْبَعٌ جَهَدْتَ لَهَا مَعَ إِجْهادِهَا

(١) العين : ١٦٩/٢.

(٢) الديوان : ٥٣/٢.

(٣) ينظر : لسان العرب : ٤١٢/٦.

(٤) الديوان : ٢٧١/٣٥.

(٥) العين : ٣٢٧/٣.

(٦) الديوان : ١٠٩/٨.

جاء استخدامه لهذه المفردة في لوحة اعتاد الشاعر على الإتيان بها ضمناً في إشعاره فهي تقع ضمن سياق تصويره رحلته المختلفة، وفي هذا الموضع نراه يجسد بدقة متناهية حال بقرة ضل صغيرها؛ فباتت تجري وتجول في محاولة منها لايجاد صغيرها في نطاق هذا المكان الواسع، حتى نال منها التعب وبلغ الأجهاد أرجلها الأربع، لكنها على الرغم من ذلك لم تترك مكانها والملاحظ أن لفظة الفضاء عكست تلك الدلالات المكانية التي أراد الشاعر أن يصورها في تجواله.

وإلى طائفة إلفاظ الطبيعة، يضم الأعشى لفظاً آخر في معرض تشبيه ناقته بالثور ونعني بذلك لفظ (الجليد وهو ما جمد من الماء وما وقع على الارض من صقيع مُجمد) [١]، فيقول[٢] :

تَضَيَّقَ رَمْلَة البَقَّارِ يَوْماً

فَبَاتَ بِتْلكَ يَحزِبُهُ الجَلِيدُ

فناقة الشاعر متقدة النشاط، صلبة الهيكل، تشبه في ذلك الثور القوي المكافح لظروف الطبيعة القاسية، فيصور لجوءه الى أغصان الأشجار الكثيفة المتهدلة، محتمياً بها من دفعات المطر، وصقيع السماء البارد، وهو وصف لوضع مناخي، يندر إيراده في قصائد ذلك العصر إذ أن الشائع هو بث أجواء الصحراء ولهيب هجيرها الحارق.

ألفاظ حضارية متنوعة :

لم يقتصر إيراد الألفاظ الحضارية في لغة الأعشى على جانبي الطبيعة والعمران، بل شمل نواحي متعددة ومختلفة، كل بحسب استخدامه والدلالة التي تشير إليه، وهي في مجملها وعلى إختلاف أنواعها، جاءت محملة ومشحونة بدلالات لا يمكن الاختلاف في حضارتها وتقدمها زمانياً عن عصر الشاعر، والفيصل في هذا الحكم كما أسلفنا يعود الى مواكبة هذه الألفاظ لوقتنا الحاضر وعدم أندثار إستخدامها ، وهذا بدوره يضاف الى ما تقدم من الألفاظ التي كُشف النقاب عن دلالاتها واستخدامها في منظوم الشاعر.

وتتصدر هذه الألفاظ لفظة (الدمية) التي تشير الى الصورة والتمثال[٣]، فيقول[٤] :

حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأَنَامِلِ كَالدُّمـ

يَةِ لاَ عَابِسٌ وَلاَ مِهْزَاقُ

وموضع استخدام الشاعر لهذه اللفظة جاء منسجماً ومعبراً عما يدور في خلجاته المعذبة بغرام صاحبته (قُتيلة)، إذ أطلق العنان لوصف جمالها، فجاءت هذه اللفظة لتستوعب تلك اللواعج

[١] العين : ٢٥٢/١.

[٢] الديوان : ٣٦١/٦٥.

[٣] العين : ٤٩/٢.

[٤] الديوان : ٢٤٥/٣٢.

الملتهبة، فحسنها يحاكي في رونقه وفتنته جمال الصور والتماثيل أي أنه حَسنٌ متكامل لا يشوبه عيب يزينه بشارة الوجه وسماحة الخلق، فهي معتدلة في ضحكها لا يذهب بوقارها الأفراط في التفكه، ولا يشوه حسنها التجهم والعبوس.

ولا يطيق الأعشى صبراً على مجافاة الغزل بمعشوقاته فنراه يبلغ مستوى المبالغة الشعرية في إعجابه وشدة انجذابه إليهن قائلاً[١] :

كَأَنَّهَا دُرَّةٌ زَهَرَاءُ أَخْرجَهَا غَوَّاصُ دَارِينَ يَخْشَ دُونَهَا الغَرَقَا

فالتأمل في ألفاظ البيت يوقفنا عند مفردة (الغواص) التي أخذت موقعها وأدت دلالتها المتوخاة في استخدامها ، فقد شبه الشاعر حبيبته بالدرة الزهراء التي يخرجها الغواص من أعماق البحر معرضاً حياته للهلاك ليظفر بها.

وفي سبيل تصوير ما يكابده الشاعر من مرارة هجران وخذلان حبيبته (ميثاء) التي فأت ديارها عن دياره، فخلفت في قلبه صدعاً لا يلتئم، حتى أن الحديث معها غدا مستحيلاً، ومما اضطره الى الاستعانة بالرسول الذي دل على معناه لفظ (السمسار) [٢] وهو غني عن التمحيص في مدى حضارته لفظاً ومعنى وفي ذلك يقول[٣] :

وَأَصْبَحْتُ لا أَستَطِيعُ الكَلاَمْ

سِوَى أَنْ أُرَاجِعَ سِمْسَارَهَا

ونجد ما هو أكثر حداثة وتقدماً في منظوم الأعشى، عندما نقف على استخدامه لمفردة (الحكومة) التي وردت في قصيدة هجاءه لبني شيبان الجهدري والمراد منها في موضع استخدام الشاعر هم الأشخاص الذين يحكمون بين الناس في خضوماتهم[٤] فيقول[٥] :

وَلاَ إِلى الهَرِمَيْن في بَيتِ الحُكُومَةِ والخِيارَه

ولاشك في أن قيام الهجاء على مبدأ المفاضلة، دفع الشاعر إلى الموازنة بين سادات قومه وقوم المهجو وأحد الجوانب التي اختارها الشاعر للأنتقاص من خصمه، هو الموازنة بين مفاخر قبيلته، والقبائل الأخرى، فهم أعلى كعباً من الهرمين اللذين ذاع صيتهما في القبائل، ويقصد الهرم بن سنان بن حارثة، وهرم بن سنان الفزاري، وضاع صيتهما في الجود والكرم والحكمة، فكلاهما يحتكم إليهم الناس في خصوماتهم.

[١] الديوان : ٤٠٣/٨٠.

[٢] ينظر : الديوان : ص٣٣٥.

[٣] المصدر السابق : ٣٥٥/٦٤.

[٤] ينظر : المصدر السابق : ١٩٣.

[٥] الديوان : ١٩٣/٢٠.

وفي لحظة وداع مريرة ألمت بالشاعر عند فراق محبوبته (هريرة) صدح من أعماقه أنيناً يبوح ما يقاسيه من عناء وعذاب الهجر، وقد كان تصوير البعد المكاني الذي فصل بينهما، هو أحد الأدوات التي سخرها الشاعر، من خلال توظيفه لمفرده (إطار) التي بثت في البيت احساساً، ينسجم مع دلالتها اللغوي التي تشير الى الأحاطة بالشيء[١] ، فيقول في ذلك[٢] :

عَلَى هُرَيرَةَ إِذ قَامَتْ تُوَدِّعُنَا

وَقَد أَتَى مِنْ إِطَارٍ دُونَهَا شَرَفُ

فالشاعر رسم صورة المسافة وقدرها بشكل تلقائي بعيد عن التكلف، قريب من الإيجاز الذي نلمحه في تكثيف المعنى، إذ أكتفى بالإشارة إلى ما حال من دون رؤية المحبوبة من التلال والتضاريس والمراد أنها أصبحت بعيدة عن مرمى نظره.

ونراه في موضع واحد يجمع بين غرضي الهجاء والمديح، وذلك حين مدح هوذة بن علي الحنفي وذم الحارث بن وعلة الرقاشي وأقام، موازنة بينهما، الفيصل فيها عنصر الكرم والضيافة والعطاء لشخصه، فنراه يغدق على ممدوحه صفات الجود وشمائل النجابة، ويصف كيفية إكرامه من قبل الممدوح، ومن أوضح الإشارات لذلك ما اشتملت عليه دلالة لفظ (المقعد) وهو ما نروم الكشف عنه في هذا الموضع، فالمعروف أن معنى (المعقد) هو موضع الجلوس[٣]. ولكن الشاعر لم يقصد الدلالة المادية فقط وإنما إضاف لها دلالة معنوية وذلك في قوله[٤] :

تَضَيَّفْتُهُ يَوماً فَقَرَّبَ مَقْعَدِي

وأَصفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدا

فالمقعد في هذا البيت عاملاً في الدلالة المعنوية أكثر من دلالته المادية، فالشاعر، يرمي من خلالها إلى تجسيد ما يحظى به من رفيع المنزلة وعلو الشأن، والقرب من ممدوحه، فهو أفاض عليه من نعمه حين حل عليه ضيفاً، فأكرم وفادته، ووهبه قائداً يعينه على كلال قوته وضعف بصره.

وبمتابعة أبيات القصيدة ذاتها، نحض بأثر آخر من آثار الفيوضات اللغوية الحضارية للشاعر، التي تتجلى في مفردة (القناع) التي شكلت بلفظها ومعناها الدال على ما تقنع به المرأة

(١) ينظر : العين : ٧٤/١.

(٢) الديوان : ٣٤٥/٦٢.

(٣) ينظر : العين : ٤٠٩/٣.

(٤) الديوان : ١٠١/٧.

رأسها[١]، جزءاً من صورة تعبيرية تضفي بمجملها مناقب العلو والرفعة لشخص الممدوح، فيقول[٢] :

فَتىً لو يُنَادِي الشَّمسَ ألقت قِنَاعَهَا

أَو القَمَرَ السَّارِى لأَلقى المَقَالِدَا

إن سلطان وقوة ممدوح الأعشى تتعدى حدود الأرض، فأمره نافذ، تستجيب له الشمس في ملكوتها إذا نادها امتثلت له وألقت قناعها كاشفة عن وجهها وكلمته، ومثلها القمر لو خاطبه لألقى إليه المقاليد وأطاع.

الخاتمة

نهل القلم من شعر الأعشى ، مقداراً أستطعنا من خلاله أن نقف على طائفة من الألفاظ التي يتفق وصفها بالحضارية وفق المعيار الذي حددناه أنفاً ، وقد كشفت لنا دراستها السمات المدنية التي أصطبغت بها لغة الشاعر وسمت بشاعريته وصوره وأخيلته إلى مصاف شعراء الحضارة آنذاك ، ومن جانب آخرأسفرت دراسة هذه الألفاظ عن الثقافات المتنوعة التي سادت في ذلك العصر , وبكل ثقة نستطيع القول بأنها كانت تيارات ثقافية مزجت روح العصر بالرقي والتحضر، بعيداً عن بداوة الصحراء ووعورة الحياة فيها ، فكانت الألفاظ الحضارية التي كشفنا عنها في الدراسة ، هي الوسيلة التي نفذنا من خلالها للاطلاع على مظاهر التقدم العمراني ، وسحر الطبيعة الخلابة وغيرها من مظاهر الترف والرفاهية التي عاصرها الشاعر ، وعبر عنها بصدق فني شعوري عالي ، مما شكل بدوره تواصلاً لفظياً بين عصر الشاعر المنصرم وحاضرنا المستمر

مصادر الدراسة :

١- الأسد، ناصر الدين : القيان والغناء في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠.

٢- الأصفهاني، علي بن الحسين : الأغاني، تحقيق عبد علي مهنا وسمير جابر، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٣- الأعشى : ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق د. محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، د.ت.

٤- التنوجي، محمد : الأعشى شاعر المجون والخمرة، توزيع الشركة المتحدة للتوزيع، جامعة حلب، د.ت.

٥- الجبوري، يحيى : الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

[١] الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦، ١٢٧٣/٣.

[٢] الديوان : ١٠١/٧.

٦- الجمحي، محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء، تحقيق : محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢.

٧- الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله : معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٠.

٨- إبن رشيق، أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل – بيروت، ١٩٧٢.

٩- ضيف، شوقي : العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٦١.

١٠- عابدين، عبد المجيد، الامثال في النثر العربي القديم، الطبعة الأولى، دار مصر للطباعة، د.ت.

١١- علي، جواد : المفصل في تاريخ العرب، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠.

١٢- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

١٣- إبن قتيبة، عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء، تحقيق : أحمد محمد شاكر، ط٣، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٧.

١٤- القيسي، نوري حمودي : الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠.

١٥- لوبون، جوستاف : حضارة العرب، ترجمة : عادل زعيتر، ط٢، د.ت.

١٦- إبن منظور، إبي الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار السلام، بيروت.

Sources of the study :

1- Assad, Nasser al-Din : qayyan and singing in the pre-Islamic era, Maarif house in Egypt, 1960.

٢ -Isfahani, Ali bin al-Hussein: songs, the investigation of Abdul Ali Mehanna and Samir Jaber, Vol. 3, Dar Al-Fikr, Beirut, 1995.

٣ -al-Ashi: the great Diwan of al-Ashi, explained and commented by Dr. Mohammed Hussein, literature library, model printing house, Dr.T.

٤ -tanouji, Mohammed: al-Ashi is the poet of Al-majun and Al-khumra, the distribution of the United distribution company, the University of Aleppo, Dr.T.

٥ -Al-Jubouri, Yahya : pre-Islamic poetry (its characteristics and arts), Vol.5, Al-Risala Foundation, Beirut, 1986.

٦ -AL-jamhi, Muhammad ibn Salam: layers of stallions about poets, investigation: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Maarif, Cairo, 1952.

٧ -al-Hamawi: Shihab al-Din Abu Abdullah: lexicon of countries, investigation of Farid Abdul Aziz Al-Jundi, Vol. 1, House of scientific books, Beirut-Lebanon, 1990.

٨ - Ibn Rashiq, Abu Ali al-Hassan, the mayor in the fields of poetry, literature and criticism, an investigation: Mohammed Mohieddin Abdel Hamid, floor 4, House of generation – Beirut, 1972.

٩ -guest, Shawky : the pre-Islamic era, Dar Al-Maarif, Egypt, 1961.

١٠ -Abdin, Abdel Meguid, proverbs in ancient Arabic prose, first edition, Misr printing house, d.T.

١١ -Ali, Jawad : the detail in the history of the Arabs, Vol. 1, Dar Al-Alam for millions, Beirut, 1970.

١٢ -al-Farahidi, al-Khalil bin Ahmed, Al-Ain, investigation: Dr. Abdelhamid Hindawi, 1st floor, scientific Book House, Beirut, 2003.

١٣ -Ibn Qutayba, Abdullah bin Muslim: poetry and poets, investigation: Ahmed Mohammed Shaker, Vol. 3, the House of Arab heritage, Cairo, 1977.

١٤ -al-Qaisi, Nouri Hammoudi: nature in pre-Islamic poetry, Vol. 1, Dar Al-Irshad for printing and publishing, Beirut, 1970.

١٥ -Le Bon, Gustave: the civilization of the Arabs, translated by Adel Zaiter, Vol. 2, D.T.

١٦ - Ibn Manzoor, Abi al-Fadl Jamal al-Din bin Makram, tongue of the Arabs, Dar es Salaam, Beirut.